**التوليـدية التحويلـية:[[1]](#footnote-2)**

يُعزى هذا المنهج التحليلي الاستنباطي[[2]](#footnote-3) إلى الأمريكي نعوم تشومسكي، الذي سعى من خلال نماذج مختلفة من التحليل إلى الظفر بأنجع الطرائق وأكفئها وصفا وتحليلا للجملة. وقد استطاع الدارسون أن يميّزوا بين أطوار أربعة قطعتها النظرية التوليدية التحويلية إلى أن استوت على سوقها، كلُّ طور يمثِّل طريقةً معينة في التحليل النحوي:

1.3.3.**طور النظرية الكلاسيكية:** يؤرخ له بصدور كتاب تشومسكي «الأبنية التركيبية» STRUCTURES SYNTAXIQUES)) سنة 1957. حيث نُظر إلى آلة التحليل اللغوي على أنها « مجموعة من القواعد مهمتها توليد كل –وفقط كل- الجمل النحوية مقرونة بأوصاف بنيوية تبيِّن كيف تأتلف الأجزاء لتكوِّن الجملة».[[3]](#footnote-4) وفي سبيل تحقيق هذه الغاية يمكننا التمييز بين نماذج ثلاثة من التحليل[[4]](#footnote-5)، أكفؤها الأنموذج التحويلي:[[5]](#footnote-6) وقوامُه أن تنهض القواعد التركيبية بالوصف التركيبي للجملة، وتوليد جميع عناصرها اللغوية في شكل سلسلة لغوية نهائية. يأتي بعدها دور القواعد التحويلية التي تعمل على تحويل هذه السلسلة النهائية إلى سلسلة نهائية مشتقة. ويأتي عقب ذلك دور القواعد الصرفصوتولوجية لتمنح الجملة شكلها النهائي طبقا لهذا المخطط:[[6]](#footnote-7)

سلسلة لغوية أولية

جملة

قواعد بنائية

سلسلة لغوية نهائية

جملة أساسية

قواعد تحويلية

سلسلة لغوية مشتقة

قواعد صرفصوتولوجية

جملة

منطوقة أو مكتوبة

ويمكن لهذه القواعد أن تأخذ الشكل البياني التالي:[[7]](#footnote-8)

**عنصر أولي مكون بنية العبارة المكون التحويلي المكون الصرفصوتولوجي التمثيل التصويتي للجملة**

وتجدر الإشارة إلى أنّ التحويلات في منظور التشومسكيين تتبع عددا من العمليات النحوية، أهمها ما يلي:[[8]](#footnote-9)

* قواعد الحذف: (SUPPRESSION) أ+ب🡠ب(أ 🡠ø)
* قواعد الإحلال: (SUBSTITUTION) أ🡠ب
* قواعد التوسع: (EXPANSSION) أ🡠ب+ﺠ

قواعد الاختصار: (REDUCTION)أ+ب🡠 ﺠ

قواعد الزيادة: (ADDITION) أ🡠ب+أ

قواعد الاستبدال: (PERMUTATION)أ+ب🡠ب+أ

قواعد النسخ: (COPIER) أ+ب🡠 ب+أ+ب

2.3.3.**طور النظرية النموذجية (THEORIE STANDARD):** ارتبط ظهوره بصدور كتاب تشومسكي »معالم النظرية التركيبية« ASPECTS DE LA THEORIE) (SYNTAXIQUE سنة 1965م، وتمثل بحق مرحلةَ نضج النظرية واكتمال صياغتها المنهجية[[9]](#footnote-10). فقد استطاع تشومسكي خلالها أن يقدم نظرية تحويلية أكثر تماسكا مما كانت عليه، حيث أضحى للمكون الدلالي (COMPOSANT SEMANTIQUE) أثرٌ واضح في هندسة معمارها، كما يوضحه الرسم البياني الموالي:[[10]](#footnote-11)

عنصر أولي مكون أساسي مكون تحويلي

مكون دلالي مكون صوتولوجي

معنى صوت

حيث تعمل هذه المكونات مجتمعة على وصف الجملة وإعطائها التحليل المناسب. والحري بالذكر أنّ التحويلات خلال هذه المرحلة صارت ذات صبغة إجبارية، بعدما كانت خلال المرحلة السابقة ذات بعدين: تحويلات وجوبية، وتحويلات جوازية.[[11]](#footnote-12)

**3.3.3. طور النظرية النموذجية الموسعة (THEORIE STANDARD ETENDUE):**

تجلَّت ملامح هذا الطور مع صدور كتاب تشومسكي «دراسة الدلالة في القواعد التوليدية» سنة 1972م، وهو لا يختلف كثيرا عن سابقه، إلاّ في تغيير وظيفة المكون الدلالي، وكذا البنية السطحية (STRUCTURE DE SURFACE) ؛ إذ أخذ المكون الدلالي يسهم، وبتأثير من جاكندوف (RAY JACKENDAFF)، في تأويل البنية الظاهرة للجملة بعدما كان قبلُ مقصورا على تأويل البنية الضامرة. فقد أُعطيتْ البنيةُ السطحية وحدها إمكانيةَ التأويل الدلالي للجملة، فانحصر دور التركيب، تبعا لذلك، في تعيين المحتوى الدلالي للجملة في هيئة علاقات محورية (RELATIONS THEMATIQUES). بمعنى: أنّ العلاقات بين الفعل والأسماء المحيطة به تتحدد على مستوى البنية الضامرة على شكل: فاعل، وفعل، وموضوع، وهدف. غير أنّ التأويل الدلالي للجملة يتحدد حسب العلاقات الموقعية والمميزات الحركية في علاقة الضمائر بالأسماء التي تعود عليها.[[12]](#footnote-13)

وفي هذا السياق يتجلَّى مفهوم الأثر (TRACE) في النظرية التوليدية، حيث أصبح يسهم في تأويل الجملة انطلاقا من بنيتها الظاهرة، دونما حاجة إلى معطيات البنية الضامرة. فكأنما الأثر « نوع من الذاكرة والحافظة للبنية العميقة في البنية السطحية»[[13]](#footnote-14)، وهو «عنصر معدوم من الوجهة الصوتية غير أنه يشير إلى الموقع الأصلي الذي كان يحتله في البنية العميقة عنصر معيّن كان قد تمّ حذفه أو إزاحته بواسطة تحويل معيّن»[[14]](#footnote-15). ومثاله أن تقول: رأيت زيدا جوابا عن: من رأيت (أ)؟

ويندرج هذا المفهوم ضمن القول بوجود مقولات فارغة[[15]](#footnote-16) L’EXISTENCE) (DE CATEGORIES VIDES نتيجة لمبدأ الإسقاط (PROJECTION) ؛ «بمعنى: الرموز التي [...] لها تحقق صوتي معدوم. وبتدقيق أكثر، [...] الرموز المنقولة تترك، في مكانها حيثما كانت، أثرا [...] يحتفظ بنفس موقع الرمز المنقول، لهذا الأثر إذن نفس الوظيفة التركيبية التي له [الرمز] ».[[16]](#footnote-17)

فنظرية الآثار (THEORIE DES TRACES)، على حدّ تعبير الفاسي الفهري، «أضحت «تقلل [...]، وإلى حدّ كبير، من الحاجة إلى التحويلات في النحو. فقد أصبح المكون التحويلي لدى تشومسكي مقلصا في قاعدة واحدة: انقل أ (MOVE A)، حيث أ مقولة كبرى. ويترك نقل أية مقولة (م س) أثرا، أي عجرة فارغة تُعنْوِنُها م س، وتحمل، بالمواضعة، نفس القرينة التي يحملها العنصر المنقول. ففي النظرية المعيار الموسعة، كانت المعلومات المضمنة في البنية العميقة والواردة دلاليا هي المعلومات المتعلقة بالعلاقات المحورية، أي بالأدوار المسندة إلى كل موضوع من موضوعات المحمول. وتؤخذ هذه المعلومات انطلاقا من البنية الشجرية الأولى. لكن بما أنّ الأثر أصبح يسجل هذه المعلومة في البنية السطحية، فإنّ من الممكن أن تعرف كل العلاقات المحورية انطلاقا من السطح ومن ثمة يمكن أن تقول إنّ البنية السطحية وحدها هي الواردة بالنسبة للتأويل الدلالي»[[17]](#footnote-18).

ويتضح خلال النظرية الموسعة أنّ المكون التركيبي لم يمسَسْه تغييرٌ ولا تعديل، فقد ظلّ كما كان من قبلُ. أما المتغير الوحيد، فهو المكوِّن الدلالي الذي صار ميدانَه البنية السطحية، وقد جرت تسميته، أيضا، بالشكل المنطقيFORME) (LOGIQUE. ويتخذ الجهاز التحليلي خلال هذه المرحلة الإطار العام الآتي:[[18]](#footnote-19)

أساس

**مكون تركيبي** بنية عميقة

تحويلات

بنية سطحية

**مكون صوتولوجي** **مكون دلالي**

شكل صوتي شكل منطقي

**4.3.3.طور نظرية الربط العاملي** **LA THEORIE DU GOUVERNEMENT ET) DU LIAGE):**

تُجسِّد نظريةُ الرَّبْطِ العاملي الطَّور الرابع من أطوار النحو التوليدي، وتعدّ، بحق، من أحدث صُوَرِ تطوره. وهي ترتبط بالصورة الأقدم للتفكير التحويلي، تقدم تصورا واقعيا للنحو الكلي، يتجلى دوره في تشكيل الأنحاء الخاصة، على نحو يجعل هذه الأخيرة تتضمن وحدات أو نظريات نحوية أو قوالب (MODULES) أصغر هي:[[19]](#footnote-20)

* نظرية السين البارية ( X-BARRE).
* نظرية الثيتا (LA THEORIE THÊTIQUE).
* نظرية الربط (LA THEORIE DU LIAGE).
* نظرية الحالة (LA THEORIE DU CAS).

ولقد تطورت هذه النظرية ابتداء من الثمانينيات من القرن الماضي، فغيَّرت بشكل جذري البنية الداخلية للمكونات[[20]](#footnote-21). فقد أحدثت تغييرا معتبرا في النظرية الشكلانية (FORMALISME)، بحيث عدّلت القواعد تعديلا كبيرا، وكان المنطلقَ فكرةُ البناء الداخلي المعمولِ به في نظرية «السين البارية» التي تُعنى بالمقولات التركيبية وبنية المركبات، ولاسيَّما الأنواع المركبية المتنوعة (اسمية، فعلية، وصفية، حرفية) من حيث وظيفة العنصر الرئيس الذي يكوِّنها، والمُسمَّى «الرأس»، والمتصل بما يدعى بالإسقاط الأدنى (PROJECTION MINIMALE). هذا الأخير يندرج ضمن الإسقاط الأوسط (PROJECTION INTERMEDIAIRE)، المندرج بدوره في مستوى أعلى، يدعى الإسقاط الأقصى (PROJECTION MAXIMALE)، ويتصل بالمركب في مجموعه[[21]](#footnote-22).

فحسب نظرية السين البارية، كلُّ مقولة معجمية يرمز لها بالرمز X (يشير الرمز X إلى الفصائل النحوية س أو ف أو ص أو أ) تشغل موقع الصدر في المقولة X' والتي تتشكل بدورها من المقولة المعجمية X وتكملاتها. ويسمي تشومسكي X' إسقاط المقولة (PROJECTION DU X)، ويفترض كذلك وجود إسقاط آخر هو الإسقاط "X الذي يعدّ إسقاطا أقصى قوامُه ائتلافٌ بين المقولة X' ومخصصها، حيث يصير مخصص المقولة س' هو المحدد د كأدوات التعريف والتنكير مثلا. [[22]](#footnote-23)

ويوسع تشومسكي هذا النظام الباري ليشمل البنى الجملية بافتراضه عنصرا يتكون من عناصر الزمن والمطابقة ومن الكيفيات، يرمز له بالرمز صر (صرفة INFLECTION). يشغل هذا العنصر صر موقع الصدر في الإسقاط صر' الذي قوامه ائتلاف من الصدر صر وتكملته التي ترد مركبا فعليا. كما يتكون الإسقاط الأقصى صر" من الإسقاط صر' ومخصصه المسمى ﺒ S. ويمضي تشومسكي إلى أبعد من هذا بافتراضه عنصرا غير معجمي هو مص (حرف المصدر) يأخذ S تكملة له، ويشغل موقع الصدر في الإسقاط مص' ويسمى العنصر C، وهو الإسقاط الأقصى جنبا إلى جنب مع العنصر C' المكافئ للعنصر C". وطبقا لهذا النظام تكون البنية العامة للجملة (CLAUSE) البنية التالية:

[C مص [S م س [صر' صر [م ف ف...]]]].

كما تكون بنية المركب الاسمي كما يلي، حيث تشير النقاط إلى تكملات العنصرين س وف في حال وجودهما:

[م س د[ س' س...]]

وانطلاقا من هذا الجهاز المفاهيمي يتأتى لتشومسكي تعريف وظيفة الفاعل والمفعول ؛ حيث تتحدد الأولى بأنها المركب الاسمي للإسقاط الأقصى م س ﻠ "X، وتتحدد الثانية بأنها المركب الاسمي للسين البارية م س ﻠ X'.[[23]](#footnote-24)

وعلى ضوء نظرية السين البارية يؤسس تشومسكي لنظرية التحكم المكوني والعمل، وحاصلُها أنّ «المقولة α تعمل في الإسقاط "X إذا ما كانت هذه المقولة والإسقاط الأقصى يتحكم أحدهما في الآخر مكونيا. وإذا ما كانت المقولة α تعمل في الإسقاط الأقصى "X، بهذا المعنى عملت، أي المقولة، حينئذ في مخصص هذا الإسقاط، وفي صدره الذي هو المقولة X. وهكذا يعمل الصدر في تكملاته، وتلك الحالة هي جوهر العمل [...] ولا يمكن أن تكون عوامل إلاّ المقولات المعجمية وإسقاطاتها [...] لكن لا يمكن لحرف المصدر (THAT) أو العنصر المصدري للعنصر صر أن يكونا عاملين على سبيل المثال»[[24]](#footnote-25).

وعلى ضوء ما تقدمه نظرية التحكم من معطيات ومفاهيم تتأسس نظرية الربط (LA LIAGE) ، وحاصل شكلها التجريدي: أنّ العنصر α يربط العنصر β حالما يتحكم العنصر الأول مركبيا في الثاني، ويشترك معه في القرينة. ويربط العنصر α العنصر β إذا كان العنصر الأول يربط العنصر الثاني، ولم يكن هنالك عنصر γ بحيث العنصر α يربط γ والعنصر γ يربط العنصر β.[[25]](#footnote-26)

وبهدي من نظرية العمل وفي ظل تأثيره[[26]](#footnote-27) ظهرت نظرية الحالة، وقد نشأت أصلا عن دراسة جمل المصادر المؤولة ذوات الفاعل، وهي تعالج الكيفية التي تُحدَّدُ بها الحالةُ وفق الصيغة المعدلة التالية: «إذا كان للمقولة α حالة تقوم بها، وجب أن تحددها حينئذ لعنصر تعمل فيه».[[27]](#footnote-28)

وتاتي نظرية الثيتا (LA ө-THEORIE) في سياق إيلاء العناية إلى العلاقات المحورية المدارية (THEMATIQUES) والدلالية، حيث تظهر أنّ تشومسكي لم يبق أسيرا للمشغل التركيبي، وإنما جاوزه إلى مجالات معرفية أخرى.[[28]](#footnote-29) فمعيارُ الثيتا يعبّر فيه عن الفكرة البَدَهيَّة التي مُفَادُها «أنّ كلّ مشارك يعزى إليه دور محوري واحد في موقع واحد بالضبط من مواقع الأدوار المحورية (أي في البنية د)، وأنّ كل ما يعزى من دور محوري يجب أن يعزى إلى مشارك».[[29]](#footnote-30)وتشبه هذه النظرية في بعض سماتها نظرية تكافؤ الأفعال (LA THEORIE DE LA VALENCE VERBALE) ،[[30]](#footnote-31)غير أنها لا تنزوي في حيز الفعل فقط، بل تنصرف، كذلك، إلى بيان جميع المقولات المعجمية التي تشتغل باعتبارها عملياتٍ مقولية.[[31]](#footnote-32)

تجدر الإشارة أنّ الدراسات التوليدية خلال هذه المرحلة الرابعة (مرحلة نظرية الربط العاملي) صيغت بشكل جديد، فاختلفت معالمها عمَّا كانت عليه في المراحل السابقة في أنظارٍ، نُجملها فيما يلي:[[32]](#footnote-33)

* تقليص قواعد البنية المركبية لصالح المعجم.
* توضيح إمكان توسيع نطاق الخصائص المعجمية بتطبيقها على عناصر معجمية أخرى سوى الأفعال، مثل الصفات والحروف والأسماء.
* التخلص من القواعد التحويلية، ماعدا قاعدة الألفا المرتبطة بتقديم العناصر المعجمية.
* ثراؤها بالمبادئ العامة المفيدة في التعليل لصور التمثيلين الدلالي والتركيبي.
* معالجة ألوان من البنى التركيبية كالمصادر، الصريحة والمؤولة، ومركبات أسماء الفاعلين والمفعولين، وأسماء المصادر، والجمل المبنية للمجهول، ومركب ضمير الشأن، ونحو ذلك.

حصاد القول ومحصول الحديث أنّ التحليل من منظور لساني توليدي تحويلي يظل في مخاض مستديم بما يتَّسم به من تطور حركي ذاتي، فلا تفتأ تتوالد النظريات تباعا داخل هذا الأنموذج التوليدي على نحو لا يسمح بمتابعتها من كثب. فالمذكور منها لا يزيد عن كونه تمثيلا نسبيا لا مطلقا، فبحسبك أنّ النظريات تترى يوما بعد آخر، فالقائمة تظل مفتوحة، فهنالك، بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه، نظرية المراقب (LA THEORIE DU CONTROLE)، ونظرية الحواجز LA THEORIE DES) (BARRIERES،[[33]](#footnote-34)والبرنامج الأدنوي(MINIMALIST PROGRAMME) .[[34]](#footnote-35) فليس من سبيل إلى الظفر بجميع هذه القوالب التحليلية. بيد أنّ بعض الدارسين أمكنهم أن يعيدوا تقسيم مجموع هذه النظريات أو القوالب (MODULES) إلى ثلاث زمر: نظريات العلاقات والتبعية، ونظريات العلاقات عن بعد، ونظريات العلاقة بين المعجم والنحـو.[[35]](#footnote-36)

1. تجب الإشارة إلى أنّ التحويل يمكن التطرق إليه خارج إطار النظرية التوليدية، ولاسيما من منظور توزيعي. ينظر:

   NOUVEAU DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE, P85. [↑](#footnote-ref-2)
2. »أي تُحلَّل اللغة عن طريق وضع الفرضيات التي تفسر القضايا اللغوية الممكنة ملاحظتها والتي تدرس العلاقات القائمة فيما بينها».الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص96. [↑](#footnote-ref-3)
3. اللسانيات واللغة العربية، ص65. [↑](#footnote-ref-4)
4. هي: الأنموذج الماركوفي (MODELE DE MARKOV)، والأنموذج التركيبي (MODELE SYNTAGMATIQUE)، والأنموذج التحويلي (MODELTRANSFORMATIONNEL **).** [↑](#footnote-ref-5)
5. قال جون ليونز في كتابه (نظرية تشومسكي اللغوية، ص154): »يرى [تشومسكي] أنّ النموذج الثالث منها –أي القواعد التحويلية- أكثر النماذج الثلاثة قوة وفاعلية في دراسة اللغة ووصفها وأنّ هذا النموذج يمكن الاعتماد عليه أكثر من نموذج قواعد تركيب أركان الجملة، وبخاصة عندما ندرس ونحلل أنواعا معينة من الجمل مثل الجمل الغامضة«. [↑](#footnote-ref-6)
6. ينظر: «النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية والتوليدية»، ص34. [↑](#footnote-ref-7)
7. ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية، ص149. [↑](#footnote-ref-8)
8. ينظر: كارل-ديتر بونتنج، المدخل إلى علم اللغة، ص239-242 ؛ وعبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، ص140، 141 ؛ والألسنية التوليدية والتحويلية، ص154-156 ؛ وعبد الله أحمد جاد الكريم، الدرس النحوي في القرن العشرين، ص246. [↑](#footnote-ref-9)
9. ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، ص25. [↑](#footnote-ref-10)
10. ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية، ص157-161. [↑](#footnote-ref-11)
11. ينظر:

    LEXIQUE DES NOTIONS LINGUISTIQUES, P114;

    وكارل-ديتر بونتنج، المدخل إلى علم اللغة، ص220-223 ؛ و«النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية والتوليدية»، مجلة اللسانيات، ص35، 36 ؛ والألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص152. [↑](#footnote-ref-12)
12. ينظر: اللسانيات واللغة العربية، ص70 ؛ والنحو والدلالة، هامش ص108، 109؛ وكذلك:

    NOUVEAU DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE, P127,128. [↑](#footnote-ref-13)
13. النحو والدلالة، ص109 (الهامش). [↑](#footnote-ref-14)
14. نفسه، ص148. [↑](#footnote-ref-15)
15. ينظر: تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، ص217. [↑](#footnote-ref-16)
16. NOUVEAU DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE, P475. [↑](#footnote-ref-17)
17. اللسانيات واللغة العربية، ص74. [↑](#footnote-ref-18)
18. ينظر:

    NOUVEAU DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE, P127. [↑](#footnote-ref-19)
19. ينظر: مقدمة محمد فتيح على كتاب المعرفة اللغوية طبيعتها واستخدامها، ص6. [↑](#footnote-ref-20)
20. ينظر:

    NOUVEAU DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE, P128. [↑](#footnote-ref-21)
21. ينظر:

    INITIATION A LA LINGUISTIQUE, P100, 101;

    NOUVEAU DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE, P460, 461, 472-476. [↑](#footnote-ref-22)
22. ينظر: تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، ص296-297. [↑](#footnote-ref-23)
23. ينظر: السابق، ص 297-299. [↑](#footnote-ref-24)
24. نفسه، ص300. [↑](#footnote-ref-25)
25. ينظر: نفسه، ص305. [↑](#footnote-ref-26)
26. يقول تشومسكي: «لاحظ أنّ الحالة تتحدد بصورة واحدة تحت تأثير العمل». نفسه، ص344. [↑](#footnote-ref-27)
27. السابق، ص343. [↑](#footnote-ref-28)
28. ينظر: INITIATION A LA LINGUISTIQUE, P101. [↑](#footnote-ref-29)
29. المعرفة اللغوية، ص338، 339. [↑](#footnote-ref-30)
30. ينظر: البحث، ص 88-93. [↑](#footnote-ref-31)
31. INITIATION A LA LINGUISTIQUE, P101. [↑](#footnote-ref-32)
32. ينظر: محمد فتيح في مقدمته لكتاب المعرفة اللغوية، ص 38. [↑](#footnote-ref-33)
33. ينظر:

    INITIATION A LA LINGUISTIQUE, P101. [↑](#footnote-ref-34)
34. ينظر الإطار النظري لهذا البرنامج وتطبيقاته على اللغة العربية: محمد الرحالي، تركيب اللغة العربية (مقاربة نظرية جديدة). [↑](#footnote-ref-35)
35. ينظر:

    INITIATION A LA LINGUISTIQUE, P101. [↑](#footnote-ref-36)